المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651

العدد الثالث والعشرون / شباط 2024

المدارس النظامية العثمانية في طرابلس (1864–1914م)،

من خلال الوثائق العثمانية.

Ottoman regular schools in Tripoli (1864–1914 AD),

Through Ottoman documents.

الباحث

علي أحمد إسبر

الملخص .

يتناول هذا البحث المدارس النظامية العثمانية في طرابلس (1864–1914

من خلال الوثائق العثمانية ، يعتمد هذا البحث التاريخي المنهج العلمي في كتابة التاريخ، وهو الطريقة المستخدمة لبلوغ الحقائق والمعارف، وذلك عن طريق مطالعة المعلومات أو البيانات التي دونت في الوثائق والمصادر، و يعتمد هذا البحث في بنيته الأساسية على وثائق من الارشيف العثماني، وعلى سالنامة ولاية سوريا، وسالنامة ولاية بيروت، وسالنامة المعارف العمومية، تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول أهم موضوع في بناء المجتمعات، وخاصة للمجتمع الطرابلسي، وسنحاول من خلال هذا البحث الإضاءة على محاولات الدولة العثمانية التحديثية في المجال التعليمي في طرابلس الشام، كما أننا معنيون ونحن نعيش في مدينة طرابلس، أن يتعرف القارئ على الواقع التعليمي في طرابلس خلال الفترة الممتدة بين 1864–1914م وذلك لمعرفة الإسهامات التي حاولت الدولة العثمانية أن تقدمها من أجل نشر العلم والمعرفة، خاصة وأنها كانت متهمة أنها كانت تسعى إلى تجهيل المجتمعات التي كانت تنضوي تحت قيادتها خاصة في المناطق العربية.

الكلمات المفتاحية : المدارس _ الوثائق العثمانية _ طرابلس _ التعليم .

ISSN: 2709-5312

Abstract.

Through the Ottoman documents, this historical research adopts the scientific method in writing history, which is the method used to obtain facts and knowledge, by reviewing the information or data that were recorded in the documents and sources. In its basic structure, this research relies on documents from the Ottoman archives, and on the Salnama. The State of Syria, the State of Beirut State, and the State of General Knowledge. The importance of this research stems from the fact that it deals with the most important topic in building societies, especially for the Tripolitanian society.

Through this research, we will try to shed light on the attempts of the Ottoman Empire to modernize the educational field in Tripoli, the Levant. We are also concerned, while we live in the city of Tripoli, for the reader to get to know the educational reality in Tripoli during the period extending between 1864-1914 AD, in order to know the contributions that the Ottoman Empire tried to make.

She advanced in order to spread science and knowledge, especially since she was accused of seeking to ignore the societies that were under her leadership, especially in the Arab regions.

Keywords: schools – Ottoman documents – Tripoli – education.

أولا: المقدمة

يعتمد هذا البحث في بنيته الأساسية على وثائق من الارشيف العثماني، وعلى سالنامة ولاية سوريا، وسالنامة ولاية بيروت، وسالنامة المعارف العمومية، بالإضافة إلى مصادر أخرى والتي من خلالها نستطيع معرفة كل ما يتعلق بالتعليم في الدولة العثمانية خاصةً خلال الفترة الممتدة من 1864-1914م. إن الاعتماد على هذه المصادر الأساسية يعتبر من قبل الباحث ركون إلى الموضوعية في استنباط الحقيقة التاريخية، بعيدا عن الأحكام المسبقة.

والحق أن هناك اعتبارات عديدة دفعتنا إلى كتابة هذا البحث بالإضافة إلى ما تقدم، وأول هذه الاعتبارات، الإضاءة على ما قدمه مدحت باشا من خدمات إصلاحية في مجال التعليم والتي شهدتها طرابلس خلال عهده بين عامي 1878-1880م، حيث بنى توجهه هذا على سوء الحالة الثقافية في ولاية سوريا عامةً، في ظل اختلال موازين الثقافة والمعرفة بين الفئات الإسلامية والفئات الغير إسلامية، وإن ذلك ناتج عن التحاق الفئات غير الإسلامية بمؤسسات التعليم الأجنبية، في حين تتفشى الجهالة والأمية في الأوساط الإسلامية، والتي تشكل نسبة 80% من سكان الولاية، يستثنى منها علماء الدين.

الاعتبار الثاني: هو أننا معنيون ونحن نعيش في مدينة طرابلس، أن يتعرف القارئ على الواقع التعليمي في طرابلس خلال الفترة الممتدة بين 1864-1914م وذلك لمعرفة الإسهامات التي حاولت الدولة العثمانية أن تقدمها من أجل نشر العلم والمعرفة، خاصة وأنها كانت متهمة أنها كانت تسعى إلى تجهيل المجتمعات التي كانت تنضوي تحت قيادتها خاصة في المناطق العربية.

-أهمية الموضوع

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول أهم موضوع في بناء المجتمعات، وخاصة للمجتمع الطرابلسي، وسنحاول من خلال هذا البحث الإضاءة على محاولات الدولة العثمانية التحديثية في المجال التعليمي في طرابلس الشام، التابع لولاية سوريا، ثم لولاية بيروت منذ العام 1305هـ/ 1888م وذلك كجزء من التطورات الإصلاحية في الدولة العثمانية ككل.

وسيكشف لنا البحث مدى اهتمام الدولة في بناء المدارس النظامية، ومحاولتها تطوير الكتاتيب لتصبح مواكبة للتطور الحاصل في مجال التعليم. وكذلك للتعرف على القوانين التي أصدرتها الدولة العثمانية لإصلاح التعليم.

-الإشكالية:

عرفت مرحلة البحث تحولات عميقة في مجال التعليم، وقد أعطت الإصلاحات التي أصدرتها الدولة العثمانية تأشيرة للبدء ببناء المدارس النظامية، فما كان نصيب طرابلس الشام من هذه المدارس، وكيف أسهمت في ازدياد أعداد المتعلمين ذكوراً وإناساً، وكيف استطاعت الدولة تأمين حاجات المدارس للمعلمين، وهل استطاعت الدولة فعلاً من تأمين التعليم لكل أبنائها.

-الفرضيات:

إن طرح إشكاليات البحث على شكل إدراج معلومات وتصنيفها وفق موضوعات، وكيفية توظيف هذه المعلومات للخروج بنتائج تعكس واقع التعليم في طرابلس الشام خلال الفترة الممتدة من 1864-

1914م، إن وجود معطيات تتعلق بواقع التعليم قبل فترة التنظيمات، يعطينا فكرة عن مدى التطور الذي شهدته طرابلس أثناء فترة التنظيمات، وتعتبر القوانين التي صدرت خلال هذه المرحلة لتنظيم التعليم وتطويره، وكذلك المشاريع التي تم تنفيذها، والمؤسسات التي تم استحداثها، شكلت جميعها خارطة الطريق لحل إشكاليات البحث.

-التعريف بالوثائق والمصادر:

إن دراسة التاريخ بكل موضوعاته يحتاج الى الارتكاز على وثائق أصلية، وان الوصول اليها واستخراج المعلومات منها يحتاج إلى كثير جهد ومثابرة.

ساهمت الوثائق والمصادر العثمانية بإغناء البحث، وإعطائه الجدية والعلمية، وبما أن بحثنا يرتكز على هذه الوثائق والمصادر، إذاً لا بد من توضيح أهمية هذه الوثائق والمصادر العثمانية.

استقينا هذه الوثائق من الأرشيف العثماني في استنبول، وهي وثائق تحتوي على معلومات مهمة عن التعليم في طرابلس الشام. أما سالنامات الدولة العثمانية سواءً الخاصة منها بولاية سوريا أو ولاية بيروت أو سالنامة المعارف العمومية.

بالنسبة لسالنامة سوريا أو بيروت فإنهم يتناولون نفس المواضيع بحسب السناجق التي تحويها كل ولاية، وهي ذاخرة بالمعلومات عن مجالس المعارف وأسماء أعضائها وأسماء المدارس ومعلميها وعدد تلاميذها.

أما سالنامة المعارف العمومية فهي متخصصة حصراً بأمور المعارف في كل أنحاء السلطنة العثمانية، وهي تذخر بمعطيات هامة عن التعليم والقوانين التي تصدر عن الدولة من أجل تنظيم هذا القطاع الهام.

أما المصادر الأخرى فإن أهمها في مجال التعليم كتاب الدكتور فاضل بيات عن المؤسسات التعليمية في المشرق العربي، وحوى على كنز هام من المعلومات عن المدارس النظامية، ومراحلها وأسماء المدارس ومعلميها وأعداد تلامذتها ومناهج التعليم في كل مرحلة تعليمية.

أما كتاب ولاية سوريا للدكتور محمد عوض، فهو كتاب حوى على كل القوانين التي صدرت بخصوص التعليم.

-منهج البحث

يعتمد هذا البحث التاريخي المنهج العلمي في كتابة التاريخ، وهو الطريقة المستخدمة لبلوغ الحقائق والمعارف، وذلك عن طريق مطالعة المعلومات أو البيانات التي دونت في الوثائق والمصادر، ومحاولة استقراء ما تضمنته هذه المصادر، ثم إعادة بلورتها للتوصل إلى النتائج المقبولة، والمدعمة بالقرائن والبراهين.

ثانياً: التعليم

أ- التعليم قبل عصر التنظيمات

"كان التعليم قبل عصر التنظيمات تعليماً دينياً حراً، يبدأ في المنزل على يد مرب أو شيخ، ويتعلم التلميذ فيه ترتيل أجزاء من القرآن الكريم، كما كان تعلم القراءة والكتابة هو الحد الأقصى للتعليم في القرى.

أما في المدن فكان التلاميذ يتلقون العلم في المساجد، وكانت مادة التدريس الأساسية هي حفظ القرآن وتلاوته، وكثيرا ما استعملت مساجد القرى كمدارس، ولم تكن الحكومة تنفق على المدرسين أو على أبنية المدارس، بل كانت المدارس تدين بوجودها إلى تبرعات المحسنين الذين أنشأوها وحبسوا

عليها الأوقاف الكافية، كما كانت مرتبات شيوخ المدارس قليلة لا تتجاوز (20) بارة في الأسبوع عن كل تلميذ، ولم يكن هنالك نظام للتفتيش على أسلوب الفقهاء في التعليم أو مراقبته، وإنما كانت المراقبة مقصورة على الناحية المالية"[1].

ب-التعليم في عصر التنظيمات

"أما في عصر التنظيمات، فقد شهدت ولاية سورية تطورا فكريا وثقافيا سريعا نسبيا، إذا ما قارناه بتطور الثقافة والتعليم في العهد العثماني الأول، وقد مهدت الإدارة المصرية (1831 – 1840م)

1(محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914، دار المعارف، مصر، ص252)

لهذا التطور، وذلك بفضل المدارس الابتدائية التي أنشأها إبراهيم باشا في سورية، وتطبيقه برنامجا واسعا للتعليم الابتدائي، على نمط النظام الذي جرى تطبيقه في مصر"[2].

"كما كان للمدارس العالية التي أنشأها محمد علي في مصر لتعليم الهندسة والطب والصناعات، والتي تلقى العلم فيها بعض أبناء سوريا، بالإضافة إلى ما أقامته الدولة العثمانية من مدارس عالية في إستانبول، والتي تمكن أبناء الأغنياء من الالتحاق بها، وتلقي العلم فيها، أثّر في ازدياد عدد المثقفين في ولاية سوريا"[3].

"وفي عصر التنظيمات أصبح للدولة سياسة تعليمية ذات أهداف، فسنت الأنظمة اللازمة التي استهدفت تنظيم إدارة التعليم في الولايات.

ويمكننا أن نقسم أنماط التعليم في عصر التنظيمات إلى ثلاثة أنواع هي: الكتاتيب، والمدارس الحكومية، والمدارس الخاصة"[4].

ومما لا شك فيه أيضا، بالإضافة إلى إنجازات محمد علي في بلاد الشام أن انتشار المؤسسات التعليمية الحديثة في الولايات الواقعة في بلاد الشام يعد من أهم الإنجازات التي تحققت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876 – 1909)، ففي عهد التنظيمات لم يكن بإمكان الدولة مد خدمات التعليم إلى خارج استنبول، ولكن اعتبارا من سنة 1878م، باشرت بنشر التعليم في الأرجاء المختلفة من الدولة.

2(محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914، دار المعارف، مصر، ص252)
3كرد علي، محمد، خطط الشام، ج4 ص 70
4محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914، دار المعارف، مصر، ص253.

وعلى الرغم من عدم كفاية المؤسسات التعليمية وتواضعها من حيث الكمية والنوعية في هذه المرحلة، إلا أن هذه المحاولة بحد ذاتها كانت خطوة متقدمة من الخطوات التي خطتها الدولة في سبيل الحداثة. وهي لم تألُ جهدا في سبيل نشر المؤسسات التعليمية وتوسيعها، بل جعلت تطويرها وإدخال الإصلاحات فيها وبشكل مستمر مهمتها الأساسية.

وسنحاول من خلال هذا البحث الإضاءة على محاولات الدولة العثمانية التحديثية في المجال التعليمي في طرابلس الشام، التابع لولاية سوريا، ثم لولاية بيروت منذ العام 1305هـ/ 1888م وذلك كجزء من التطورات الإصلاحية في الدولة العثمانية ككل.

ومن الملاحظ أن مجمل المشاريع الإصلاحية التي شهدتها طرابلس كانت حين تولى مدحت باشا ولاية سوريا بين عامي 1878–1880م، "وقد بنى توجهه هذا على سوء الحالة الثقافية في ولاية سوريا عامة، في ظل اختلال موازين الثقافة والمعرفة بين الفئات الإسلامية والفئات الغير إسلامية، وإن ذلك ناتج عن التحاق الفئات غير الإسلامية بمؤسسات التعليم الأجنبية، في حين تتفشى الجهالة والأمية في الأوساط الإسلامية، والتي تشكل نسبة 80% من سكان الولاية، يستثنى منها علماء الدين"[5].

5آغا قصاب، سوسن، (2000م)، محاولات تحديث التعليم والمواصلات في طرابلس الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، ص30.

وبموجب نظام المعارف العمومية لعام 1868م تشكل في الولايات العثمانية إدارة المعارف الذي أنيط بها تنظيم شؤون التعليم، وقد تشكلت لجنة المعارف في لواء طرابلس عام 1883م من: "رئيس أول شيخ عبد الرحمن أفندي صوفي، رئيس ثاني ميقاتي زاده شيخ علي أفندي.

الأعضاء: عبد القادر أفندي الملا، عبد القادر أفندي كمال، محمود أفندي منلا، محي الدين أفندي سلهب، مصطفى أفندي عزالدين، شيخ خير الدين أفندي ميقاتي، عبد العزيز أفندي سلطان، عثمان أفندي، كاتب عبد الرحمن بك"[6]. وقد شهدت إدارة المعارف في طرابلس في السنة الدراسية 1907-1908م تغييرا جذريا في أسماء الرئيس والأعضاء:

"الرئيس: مدير تحريرات اللواء عبد القادر كمال أفندي.

الأعضاء: محمد كامل أفندي، مصطفى أفندي، محمد رشيد أفندي مدرس، كاتب حامد"[7]. ويستدل من أسمائهم أنهم جميعا من أبناء مدينة طرابلس.

"وكان لمجلس المعارف أهمية كبرى وكانت الدولة العثمانية تحرص أشد الحرص على أن يكون مدير المعارف في الولاية أو القضاء يتمتع بكفاءة وقدرة على تسيير شؤون المعارف في القضاء، ولم تكن تقبل استمرار أي منهم في عمله عندما يكون دون المستوى المطلوب "ففي 1 نيسان 1910م رفع مبعوث بيروت في مجلس المبعوثان رضا الصلح تقريرا إلى الصدارة العظمى ذكر فيه أن مدير معارف ولاية بيروت ليس بالشخص القادر على تسيير شؤون إدارة المعارف، ولهذا طلب تعيين

6سالنامة ولاية سوريا 1300ه/ 1883م: ص189.
7سالنامة ولاية بيروت1326ه/1908م، ص 304.

ISSN: 2709-5312

شخص كفوء ومتفتح عقليا بدلا عنه. ولم يتردد الصدارة العظمى في تلبية الطلب، وطلبت من وزارة المعارف اجراء اللازم بهذا الخصوص"[8].

ومن أهم مهام مجلس معارف القضاء ما يلي:

- "العمل على تنفيذ الأوامر والتعليمات الصادرة عن وزارة المعارف، والمحافظة على المخصصات المالية الممنوحة من جانب الخزينة وواردات الإعانات التي يتم تحصيلها من الأهالي والاعتناء بطريقة صرفها واستخدامها.
- الإشراف على المدارس والمكتبات والمطابع وتفقد أوضاع المدارس والنظر في أمر إصلاحها، وإبلاغ وزارة المعارف سنويا عن وضع التعليم في القضاء من خلال محضر يرسل إلى مجلس معارف الولاية ومنه إلى وزارة المعارف.
- اختيار وتعيين المعلمين واستبدالهم وتكريمهم ومجازاتهم حسب اللزوم، والنظر في الدعاوى الخاصة بهم، والإشراف على إجراء الامتحانات ومنح الشهادات الرسمية"[9].

"وتشير الوثائق بأن وزارة المعارف استهدفت من تأسيس هذه المجالس في الولايات حتى تكون هذه المجالس اجهزتها التنفيذية فيها، وتقوم بالمهام التالية:

- زيادة عدد المدارس الرسمية في الولايات وإصلاح المدارس القائمة.
- تفتيش المدارس المسيحية ووضعها تحت المراقبة.

8الأرشيف العثماني، BOA 279493 /3727 ,BEO
9بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص50.

- مراقبة المدارس المرخصة وغير المرخصة والمؤسسة من قبل الأجانب حسب النظام، وعدم فسح المجال لهم بتأسيس المدارس في أي مكان يشاؤون.
- التصدي للمطبوعات الممنوعة والحد من تداولها وانتشارها في الدولة"[10]

ويستدل من هذه المهام أن هذه المجالس أريد لها أن تضطلع بالدرجة الأولى بمهام المراقبة والتفتيش.

قبل البدء بتصنيف المدارس من المفيد تعريف المكتب والمدرسة، المعلم والمدرس.

"استخدم العثمانيون مصطلح (مدرسة) للدلالة على المدرسة التقليدية الإسلامية التي تشكل المدارس الدينية القسم الأعظم منها، واستخدموا مصطلح (مدرس) للدلالة على كل من يقوم بالتدريس فيها.

وأطلقوا على غيرها من المدارس بما فيها المدارس الرسمية والخاصة وغير الإسلامية والأجنبية وبمستوياتها المختلفة اسم (مكتب وجمعها مكاتب) وتدخل ضمن هذه التسمية كذلك الكتاب وجمعها الكتاتيب فسموها (صبيان مكتبي) أي (مدرسة الصبيان) قبل أن يحل محلها مصطلح (المدرسة الابتدائية)، كما أطلقوا على كل من يتولى التدريس في هذه المدارس اسم (معلم)، وعلى الذي يتولى إدارة المدرسة اسم (مدير) أي استخدموا تسميات عربية"[11].

10الأرشيف العثماني، BOA. I.DH. 850/ 68247
11سالنامة المعارف لسنة 1317ه، ج2، ص28-29.

ثالثاً: المدارس النظامية في طرابلس.

أ- الكتاتيب

"كانت مؤسسات الابتدائي في الدولة العثمانية تقتصر حتى أواسط القرن التاسع عشر على الكتاتيب أو ما يسمى بالمصطلح العثماني مدارس الصبيان التي انتشرت في الأحياء السكنية للمدن، ولهذا كانت تسمى أيضا محله مكتبي أي مدرسة الحي أو المحلة ولكنها شاعت بين الأهالي باسم مدرسة الصبيان وذلك قبل شيوع اسم المدرسة الابتدائية. وحملت في البلاد العربية اسم كتاتيب. ولم تكن الدولة العثمانية شأنها شأن الدول الإسلامية الأخرى، تتولى تأسيس هذه المدارس، بل كان الأفراد هم الذين يقومون بتأسيسها ويرصدون أوقافا لديمومتها، ومعظم هذه المدارس تأسست كمؤسسة وقفية وتحولت إدارتها إلى وزارة الأوقاف.

وكانت الكتاتيب تقام بشكل عام ملاصقة للجوامع أو قربها. وكان الهدف الأساسي من تأسيس الكتاتيب هو تعليم الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ الدين الإسلامي والقرآن الكريم"[12].

"بالنسبة لكتاتيب القرى، كان أبناء القرى يبدؤون الدراسة فيها في سن متأخرة فبينما نرى ابن المدينة يبعث به إلى المعلمة وهو في الرابعة من عمره، نجد ابن الريف لا يذهب إلى شيخ الكتاب إلا في السابعة أو الثامنة من عمره، ويكون التدريس عادة في فصل الشتاء،

12بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص85.

في الوقت الذي لا يتعارض مع أعمال الفلاحة ويبقى التلميذ في الكتاب حتى آخر فصل الشتاء، أي إلى أن يحين موعد الأعمال بالزراعية في فصل الربيع والصيف، فيترك التلميذ الكتاب ويعمل مع والده في الحقل حتى آخر فصل الصيف، وبعد ثلاث أو أربع سنين، يعلن شيخ الكتاب ختمة التلميذ"[13].

كان في مدينة طرابلس عام 1281هـ / 1864م أربعة مدارس كانت جميعها تتبع لأوقاف مساجدها وجوامعها ونورد معلومات عنها في الجدول التالي:

جدول مدارس مدينة طرابلس لعام 1281هـ/ 1864م[14]

اسم المدرسة	اسم المدرس	راتب المدرس	العملة
مدرسة الجامع الكبير	الشيخ محمود أفندي	300	قرش
مدرسة جامع التوبة	محمد أفندي	300	قرش
مدرسة مسجد الخاتونية	سندروس أفندي	50	قرش
مدرسة مسجد سبط العطار	الشيخ درويش أفندي	250	قرش

13محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914، دار المعارف، مصر، ص254.

14 EV.d.39005/13- EV.d.39005/18- EV.d.39005/20

ISSN: 2709-5312

"بقيت الكتاتيب خارج نطاق إشراف وزارة المعارف لارتباطها بوزارة الأوقاف، ولهذا لم يكن بوسع وزارة المعارف التدخل في شؤونها والعمل على تطويرها لتتلاءم مع متطلبات العصر. كما أن الموقف السلبي بل العدائي الذي اتخذه بعض علماء الدين من المدارس الحديثة التي تأسست على الطراز الغربي حال دون مد يد الإصلاح إليها"[15].

"واستمر نظام الكتاتيب في ولاية سوريا إلى ما بعد خروج العثمانيين منها سنة 1918م ويعود ذلك إلى أن الدولة العثمانية عندما بدأت في إنشاء مدارس حديثة تركت التعليم القديم على حاله، ولم تجر محاولات لإعادة تنظيمه، أو فرض رقابة عليه، بل اتجهت إلى إنشاء نظام تعليمي جديد قائم بذاته"[16]

إلا أن مصادر أخرى تؤكد أن وزارة المعارف كانت تنتظر الفرصة السانحة لإدخال الكتاتيب تحت رعايتها، ولم تحن هذه الفرصة لها إلا بعد سنة 1870م "حيث باشرت بإجراء الإصلاح في هذه المدارس على ضوء الأحكام الواردة في نظام المعارف لسنة 1896م، كما قررت أن يعاد النظر في الكتب الدراسية، وجعلها في مستوى استيعاب التلاميذ"[17].

15بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص87.
16محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914، دار المعارف، مصر، ص253.
17بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص88

ISSN: 2709-5312

ويبدو من خلال هذا التناقض في إنهاء دور الكتاتيب أو استمرارها في آداء مهمتها يعود إلى أن وزارة المعارف "استطاعت أن تدمج الكتاتيب مع المدرسة الابتدائية الحديثة في ولايات مثل استنبول إلا أنها لم تحاول فعل ذلك في باقي الولايات"[18].

أنه فعلا لم تستطيع وزارة المعارف إنهاء دور الكتاتيب كليا في كل الولايات العثمانية مما اضطرها إلى اعترافها بما يكتسبه التلميذ فيها وسمحت له بمتابعة دراسته في المراحل الأخرى من التعليم.

ب-**المدارس الحكومية (أو المدارس الرسمية):**

وهي المدارس التي تؤسسها وتديرها الدولة، ويتم تعيين مديرها ومعلميها وباقي منتسبيها من قبلها.

نظمت المدارس في الدولة العثمانية بموجب نظام المعارف الصادر في 24 جمادي الأولى 1286هـ/ 1869م، والذي صيغ في (١٩٨) مادة، وبموجب هذا النظام قسمت الدراسة إلى خمس مراحل.

1- "**المرحلة الابتدائية:** نص نظام المعارف على وجوب وجود مدرسة ابتدائية في كل قرية أو على الأقل في كل قريتين على أن يدفع أهل القرية نفقات إنشاء المدرسة وتعميرها ومخصصات المعلمين فيها، والتعليم في هذه المرحلة إلزاميا، ومدة الدراسة فيها أربع

18بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص90.

2- سنوات"[19]. وحددت "المواد المقررة في المدارس الابتدائية في سنة 1883م لكل من الذكور والإناث، ففي مدارس الذكور حددت على الوجه الآتي:

الصف التمهيدي: الألفباء، القراءة، الكتابة على اللوح.

الصف الأول: الألفباء، القراءة الكتابة على اللوح، الأجزاء الأربعة من القرآن الكريم، مبادئ الإملاء باستخدام اللوح.

الصف الثاني: العقائد مع الشرح، القرآن الكريم، العلوم الدينية، الحساب، الإملاء، مشق الخط.

الصف الثالث: القرآن بالتجويد، قصص الأنبياء، المعلومات المختصرة، مختصر القواعد، اللغة التركية، الإملاء، مشق الخط.

أما في مدارس الإناث فتقرر أن تدرس فيها المواد الآتية:

الصف التمهيدي: الألفباء، القراءة، الكتابة على اللوح.

الصف الأول: الألفباء، القراءة، الكتابة على اللوح، الأجزاء الأربعة من القرآن الكريم، مبادئ الإملاء باستخدام اللوح، الخياطة العادية.

19محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914، دار المعارف، مصر، ص254.

ISSN: 2709-5312

الصف الثاني: القرآن الكريم، العلوم الدينية، الإملاء، مشق الخط، الخياطة وأشغال الإبرة.

الصف الثالث: العلوم الدينية، الحساب، وظائف الإناث، الإملاء، التصميم، أشغال الإبرة.

الصف الرابع: قصص الأنبياء، المعلومات المختصرة، الإملاء، مشق الخط، التطريز، ماكنة الخياطة"[20].

في 6 تشرين الأول 1913م أقرت الدولة العثمانية القانون المؤقت للدراسة الابتدائية واستهدفت به تنظيم هذه الدراسة لتكتسب مضمونها وهويتها بشكل حقيقي، وبموجبه تقرر أن يكون "التعليم إلزاميا ومجانيا، على أن إلزامية التعليم الابتدائي لم تكن أكثر من حبر على ورق، ومجرد نظام اقتبس من الأنظمة الغربية دون دراسة لإمكانيات الدولة المالية، ويشهد على ذلك الحالة التعليمية المتخلفة في جميع ألوية الولاية وعجز إدارة المعارف عن فتح المدارس في المدن، ناهيك عن القرى"[21].

ومن التجارب الرائدة في مجال تصدي المجتمع المحلي في طرابلس لمهمة التعليم "تشكيل الجمعية الخيرية في طرابلس من العلماء وأرباب الحمية الوطنية، بجهود مدحت باشا الذي أطلق إشارة البدء في افتتاح المدارس، وإن كان على نفقة الأهالي ومن واردات الأوقاف المحددة بمائة وخمسين قرشا،

20بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص88-89.
21محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914، دار المعارف، مصر، ص255.

ISSN: 2709-5312

إسهاما في نشر المعرفة العصرية بين أبناء طرابلس، من مواد علمية ولغات أجنبية، وكان ذلك انسجاما مع القرار الحكومي القاضي بتشكيل هيئات محلية في مراكز الألوية، والأقضية.

استمرت الجمعية الخيرية في آداء رسالتها التعليمية، إلى أن تم تشكيل شعبة مجلس المعارف من بين أبناء طرابلس المسلمين فقط عام 1299هـ / 1882م، إثر إجراء تبليغ مقام الولاية وتحت رئاسة نواب المركز. وقد أنيط بشعبة مجلس المعارف المسؤوليات التالية:

- الاجتهاد في تعميم وإصلاح مكاتب الصبيان الابتدائية.
- البحث عن سبل زيادة إيرادات المعارف.
- تعيين المعلمين وإجراء التدقيق في المدارس.
- إجراء الامتحانات، وبالتالي توزيع الشهادات على الفائزين من الطلاب.
- إرسال تقارير مفصلة بمداخيل ومصاريف المدارس كل ستة أشهر"[22].

تعتبر الإحصائيات الواردة في سالنامة ولاية سوريا من أقدم الإحصائيات الرسمية التي تنشرها الدولة العثمانية عن التعليم في سوريا. والمعروف أن هذه السالنامة بدأت بالصدور لأول مرة في سنة 1285هـ/ 1868م حيث صدر الجزء الأول منها، إلا أن هذا الجزء وكذلك الجزء الثاني تجاهلا المدارس الابتدائية.

22آغا قصاب، سوسن، (2000م)، محاولات تحديث التعليم والمواصلات في طرابلس الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، ص31.

ولم تتناول السالنامة هذه المدارس إلا اعتبارا من جزئها الثالث الصادر في سنة 1288هـ/ 1872م، حيث ذكر فيها أعداد المؤسسات والمباني وعدد المدارس الإسلامية التقليدية والحديثة ومدارس الطوائف غير الإسلامية وعدد التلاميذ الدارسين فيها.

ولمعرفة نسبة التلاميذ إلى الأهالي في كل طائفة نورد الجدول التالي:

نسبة التلاميذ إلى الأهالي في قضاء طرابلس لسنة 1285هـ/ 1872م[23]

الطائفة	عدد الدور	عدد المدارس الابتدائية عند المسلمين ذكور فقط	عدد التلاميذ	عدد المدارس الابتدائية عند غير المسلمين	عدد التلاميذ	النسبة
المسلمون	1947	19	560			%28,76
المسيحيون واليهود	190			ذكور 6/ إناث 1	ذكور 270/ إناث 35	%160

23سالنامة ولاية سوريا لسنة 1318ه، الدفعة 32: ص 239.

ISSN: 2709-5312

يتبين لنا من خلال هذا الجدول أن عدد التلاميذ المسلمين الذين يتعلمون في المدارس الابتدائية ضئيل بالنسبة لعدد الدور في حين أن باقي الطوائف عدد التلاميذ الذين يتعلمون مرتفع جدا، كما يظهر لنا أن تعليم الإناث لدى المسلمين كان معدوما في حين أنه كان نشطا لدى الطوائف الأخرى، ويستتدل مما ورد في هذه الإحصائية أن معظم المدارس عند المسلمين كانت تتبع للنظام القديم في التعليم، الأمر الذي يمكننا من القول أنها لم تكن سوى كتاتيب تأسست في الأحياء المختلفة، ولم تكن في المستوى المطلوب، ويبدو أن هذه المرحلة كانت تشهد عمليات تغيير لنظام التعليم في المدارس، وخاصة بعد أن أقدمت الدولة على فتح مدارس جديدة تتبع النظام التعليمي الحديث وذلك ابتداء من سنة 1296هـ / 1879م وتفسير عدد التلاميذ الكبير الموجود في المدارس الغير إسلامية يعود إلى أمرين:

أولا: وجود مدارس حديثة لدى هذه الطوائف ونظام تعليمي حديث.

ثانيا: تحول عدد من تلاميذ المسلمين الميسورين للتعلم في هذه المدارس.

ونشهد ابتداء من العام 1298هـ / 1881م تطورا في تطبيق النظام الحديث في التعليم بمدينة طرابلس وافتتاح عدد من المدارس للإناث حيث سجلت السالنامة الصادرة في هذه السنة نشوء 7 مدارس للذكور ومدرستان للإناث وتوزع عليها التلاميذ بمقدار 306 ذكور و108 إناث.

وقد "ارتفع عدد الإناث المسجلين في المدارس إلى 232 تلميذة في العام 1882م"[24] مما يدل على مدى رغبة الأهالي في إدخال أولادهم بما فيهم البنات في المدارس المختلفة.

وإذا تتبعنا إحصاءات العائدة لسنة 1884م نجد أن عدد مدارس الذكور الابتدائية الحديثة قد أصبح ثمانية وعدد تلاميذها 319 تلميذ، ومدارس الإناث بقيت اثنتان وعدد تلميذاتها 255 تلميذة في حين أن عدد المدارس التي تتبع النظام القديم (كتاتيب) يبلغ 17 مدرسة وعدد تلاميذها 673 تلميذ"[25].

بعد أن أنشأت الدولة العثمانية ولاية بيروت سنة 1305هـ/1887م أصبح لواء طرابلس تابع لها وفي هذه المرحلة تولى الحكم في الدولة العثمانية السلطان عبد الحميد الثاني وشهد لواء طرابلس في عهده زيادة طفيفة في عدد المدارس، واهتمت سالنامة ولاية بيروت ابتداء من عددها الأول بذكر أسماء المدارس الابتدائية، وأول إحصائية عن المدارس الابتدائية لطرابلس الشام تعود الى السنة الدراسية 1895/ 1896م حيث أصدرت وزارة المعارف دليلها الإحصائي. وقدم هذا الدليل أعداد المدارس الابتدائية في حقلين: مدارس تتبع النظام القديم ومدارس تتبع النظام الحديث. كما خصص حقلا لأعداد المدارس التي تأسست منذ تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم ولغاية 1895/ 1896م، كما لم يغفل الدليل تقديم أعداد التلاميذ والتلميذات كل على حدة على النحو التالي:

24سالنامة ولاية سوريا لسنة 1299ه دفعة 14: ص 387.
25سالنامة ولاية سوريا لسنة 1302ه/ 1884م، ص 239.

جدول إحصائي للمدارس الابتدائية لطرابلس الشام السنة الدراسية 1895/ 1896[26]م.

	مدارس تتبع النظام القديم	مدارس تتبع النظام الحديث	المجموع	عدد المدارس الابتدائية المقامة منذ جلوس السلطان عبدالحميد الثاني سنة 1876م
لواء طرابلس الشام	**77**	**72**	**149**	**5**

وهذا يعني أن عدد المدارس التي كانت قائمة عند وصول السلطان عبد الحميد الثاني الى الحكم هو 144 مدرسة وهكذا نجد أن لواء طرابلس شهد تطورا لافتا في عدد المدارس الابتدائية قبل وصول السلطان عبد الحميد الثاني الى السلطة.

أما عدد التلاميذ في هذه المدارس في السنة الدراسية 1895/ 1896م فكان على الوجه الآتي:

	عدد التلاميذ	عدد التلميذات	المجموع
لواء طرابلس الشام	1780	315	2095

26بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص144.

ISSN: 2709-5312

في العدد الأخير من سالنامة المعارف الصادرة سنة 1902/ 1903م ذكرت معلومات في غاية الأهمية، فقد أفصحت لنا السالنامة موقع كل مدرسة وتواريخ تأسيسها وعددها أربعة مدارس في طرابلس ولم تذكر الخامسة لأسباب مجهولة.

- "المدرسة الابتدائية في حي التل بطرابلس: تأسست في 13/أيلول 1897م
- المدرسة الابتدائية في حي الجميزات بطرابلس: تأسست في 13/ تشرين الأول 1879م
- المدرسة الابتدائية في ناحية أسكلة بطرابلس: تأسست في أيلول 1897م
- المدرسة الابتدائية في طرطوس بطرابلس: تأسست في حزيران 1890م"[27]

ولقد أوردت "سالنامة ولاية بيروت الصادرة عام (1326هـ 1908م) أعداد المدارس الموجودة والعاملة في هذه السنة وقد بلغ عددها 49 مدرسة تابعة لوزارة المعارف وأنها كانت منتظمة ومتكاملة وتضاهي المؤسسات التعليمية المماثلة، أي الأجنبية وغير الإسلامية وأوردت أيضا أسماء هذه المدارس وأسماء معلميها"[28]، وكما يبدو من هذه الأسماء فإن قسما كبيرا من معلميها كانوا من أهالي طرابلس وأهمية معرفة هذه الأسماء تكمن في معرفة المربين الذين كان لهم دور كبير في تنشئة الجيل الذي شهد نهاية الدولة العثمانية، وتولوا مسؤوليات رسمية مختلفة في بداية عهد ما بعد العثمانيين وندرج بعضها في ما يلي:

27نفس المصدر،145-147

28 بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص154.

"تألفت لجنة المعارف في قضاء طرابلس الشام من مدير المعارف عبد القادر كمال أفندي، والأعضاء محمد كامل أفندي، محمد رشيد أفندي (مدرس)، مصطفى أفندي، والكاتب حامد أفندي"[29].

"مدرسة الترقي الابتدائية النموذجية في مدينة طرابلس الشام

المعلم الأول: محمد علي أفندي.

المعلم الثاني: كمال أفندي.

المعلم الثالث: محمد منير أفندي"[30].

"مدرسة التهذيبية في مدينة طرابلس الشام

المعلم الأول: صبحي أفندي.

المعلم الثاني: مصباح أفندي.

المعلم الثالث: عارف أفندي"[31].

"المدرسة الابتدائية للبنات في طرابلس الشام

29 سالنامة ولاية بيروت، لسنة 1908م، ص304.
30بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص157.
31نفس المصدر، ص155.

ISSN: 2709-5312

المعلمة الأولى: الحاجة نفيسة خانم، المعلمة الثانية: مريم خانم، المعلمة الثالثة: وهيبة خانم، المعلمة نياز خانم، المعلمة فكرية خانم، المعلمة فاطمة خانم"[32].

ويقدم لنا الدليل الإحصائي لسنة 1913م إحصائية بعدد الأطفال المسلمين في قضاء طرابلس الشام ممن هم في سن التعليم الإلزامي بين 7 إلى 13 سنة، وعدد الملتحقين وغير الملتحقين منهم بالمدارس الابتدائية، وعدد المدارس التي يحتاجها قضاء طرابلس لتلبي حاجات التلاميذ، "وقد تم احتساب هذا العدد على أساس أن كل مدرسة تتكون من صف واحد، وذات معلم أو معلمة واحدة وكل صف يضم 50 تلميذ"[33].

إحصائية بعدد الأطفال ممن هم في سن التحصيل الدراسي والملتحقين وغير الملتحقين منهم بالمدارس وعدد المدارس التي يحتاجها قضاء طرابلس[34]

	عدد الأطفال في سن التحصيل		عدد الملتحقين بالمدارس		عدد المتخلفين عن الإلتحاق بالمدارس		عدد المدارس التي يحتاجها كل قضاء
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
قضاء طرابلس الشام	1800	1650	509	213	1291	1437	55

32نفس المصدر، ص158.
33بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص163.
34بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص164

ويظهر لنا من خلال الجدول أن عدد الأطفال غير الملتحقين بالمدارس كبير جدا مما يدل على تقصير كبير من جهة الأهل، وعدم حرصهم على تعليم أولادهم، ويدل أيضا على عدم متابعة التفتيش في وزارة المعارف لمسألة إلزامية التعليم في مراحله الأولى كما نصت عليه القوانين، وهذا يرجح القول بأن إلزامية التعليم كانت حبر على ورق ولم يكن لها في الواقع أي صدى. ويتبين لنا أيضا حاجة القضاء الملحة لزيادة في عدد المدارس لاستيعاب الزيادة في عدد الأطفال في سن التحصيل.

3- **المدارس الرشدية في طرابلس الشام:**

"نص نظام المعارف على وجوب وجود مكتب رشدي واحد في كل بلد يتجاوز عدد سكانه (500) بيت، شريطة أن يكونوا مسلمين أو مسيحيين، أما إذا كان أهالي البلد مختلفين، فيجب أن يقدر عدد السكان ب (1000) بيت، ويتحمل صندوق إدارة معارف الولاية جميع نفقات إنشاء المدارس الرشدية، ويعين في كل مدرسة عدد من المعلمين يتناسب وعدد التلاميذ فيها، ومدة الدراسة في هذه المرحلة أربع سنوات.

أما مناهج المدارس الرشدية فهي: العلوم الدينية واللغة التركية ومبادئ اللغتين العربية والفارسية. كانت تدرس اللغة العربية للاستفادة منها في تفسير القرآن والحديث، كما كانت تدرس اللغة الفارسية للاستعانة بها في دروس الأدب العثماني، ولا يتعلم التلاميذ لغة أوربية في هذه المرحلة"[35].

"تعد المدرسة الرشدية في طرابلس الشام ثاني مدرسة رسمية بعد المدرسة الرشدية في دمشق تؤسس في تاريخ ولاية سوريا. كانت هذه المدرسة قائمة في سنة 1283هـ/1866م حيث كان معلمها الأول عبد الله نيازي وهو من المدرسين العلماء، والمعلم الثاني عبد الجليل أفندي. وبلغ عدد طلابها في سنة 1874م اثنان وسبعون تلميذا وفي سنة 1883م بلغ عدد تلامذتها خمسة وسبعون تلميذا، وكان كادرها التدريسي في هذه السنة يتكون من أربعة أعضاء وهم: المعلم الأول أحمد أفندي، المعلم الثاني مصطفى أفندي، معلم اللغة الفرنسية عثمان أفندي، معلم خط الثلث والرقعة محمود أفندي. وتقلص عدد طلاب المدرسة في السنة الدراسية 1886– 1887م فبلغ عدد تلامذتها خمسون تلميذا. ولم تستمر المدرسة بعد هذا التاريخ طويلا فاندمجت كالرشدية في بيروت مع المدرسة الإعدادية التي تأسست في طرابلس الشام سنة 1892، وأصبحت تشكل إحدى المراحل الدراسية لها"[36].

35محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914، دار المعارف، مصر، ص255.
36بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص253.

"تأسست المدرسة الرشدية للبنات في طرابلس الشام سنة 1315هـ/ 1897م وورد في إحدى الوثائق أن أمينة بدرية خانم عينت في سنة 1326هـ/ 1908م معلمة أولى فيها"[37].

4- المدارس الإعدادية في طرابلس الشام:

"تؤسس المدارس الإعدادية في مراكز الأقضية أو الألوية التي يتجاوز عدد سكانها (1000) بيت، ويدفع صندوق إدارة معارف الولاية جميع نفقات إنشاء هذه المدارس، وخصص لكل مدرسة إعدادية ستة معلمين مع معاونيهم، ويحمل معلمو المدارس الإعدادية شهادة دار المعلمين ومدة الدراسة في هذه المدارس ثلاث سنوات. أما مناهجها فهي اللغة التركية والحساب والهندسة والقانون العثماني والتاريخ العام والجغرافية والطبيعة والمنطق والكيمياء والجبر والرسم. ويتعلم التلاميذ لغة أوربية هي اللغة الفرنسية، ولا تدرس فيها اللغة العربية"[38].

"تأسست أول مدرسة إعدادية في طرابلس الشام في محلة التل بتاريخ 7/ كانون أول/ 1892م بعد أن اندمجت معها المدرسة الرشدية لتشكل بصفوفها الثلاثة أحد قسميها. ولم تكن تضم سكنا للطلاب.

37نفس المصدر، ص258.
38محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914، دار المعارف، مصر، ص255.

وأوردت سالنامة بيروت الصادرة في سنة 1310هـ / 1892م أسماء أول هيئة تعليمية للمدرسة إلى جانب المواد الدراسية التي يقوم كل معلم بتدريسها وعلى النحو التالي: المدير ومعلم اللغة الفرنسية والجغرافية: عبدالفتاح أفندي، معلم الهندسة والرسم: توفيق بك، معلم التاريخ والفارسية: أحمد خلوصي أفندي، معلم الإنشاء والكتابة وحسن الخط: احمد خلوصي أفندي، معلم اللغة التركية: عبدالرزاق أفندي، معلم العلوم الدينية: محمود أفندي، معلم العربية: خير الدين أفندي، معلم الحساب: عبدالعزيز أفندي، وبلغ عدد طلابها في سنة 1892م أربعة وستون تلميذا، قفز في السنة الدراسية 1895–1896م إلى واحد وتسعون طالبا وكلهم من أبناء المسلمين، تخرج منهم في السنة نفسها طالبان. وبلغ عدد المعلمين والموظفين فيها في السنة نفسها أحد عشر. وتخرج منها في السنة الدراسية 1896– 1897م تسعة وخمسون طالبا، وكلهم كانوا مسلمين. وارتفع هذا العدد الى مئتان وثلاثة وثمانون طالبا خلال السنة الدراسية 1902– 1903م وكلهم كانوا مسلمين، مما يؤيد مدى إقبال الطلاب للدراسة فيها. وفي السنة الدراسية نفسها حل خليل أفندي محل المدير عبد الفتاح أفندي، واحتفظ معظم المعلمين بوظائفهم، وأصبح محمد يمني أفندي معلما للعربية ومحمود أفندي معلما للفارسية وحسن فهمي أفندي معلما لحسن الخط"[39].

39 بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص315.

"وأوردت سالنامة ولاية بيروت قائمة بأسماء المعلمين في السنة الدراسية 1907– 1908م إلا أنه تجاهل ذكر أسماء المواد التي أنيطت بهم وعلى النحو التالي: المدير محمد يمني أفندي، المعلم: أحمد توفيق بك، المعلم أحمد خلوصي أفندي، المعلم: خبر الدين أفندي، المعلم: أمين أفندي، المعلم: محمود أفندي، المعلم عبد الرزاق أفندي، والمعلم: حسن فهمي أفندي"[40]. "وإذا كانت سالنامة بيروت أغفلت ذكر عدد طلاب المدرسة في سنة 1908م، إلا أن الدليل الإحصائي لوزارة المعارف توسع في تناول الجوانب المختلفة للمدرسة، فقد ذكر أنه كان يدرس بها في السنة الدراسية 1913–1914م خمسة وتسعون طالبا، منهم سبعة وستون في القسم الابتدائي وثمانية وعشرون في القسم الإعدادي وثلاثة وعشرون منهم يدفعون أجورا دراسية. وعدد المعلمين فيها في السنة 1913–1914 ثمانية والإداريين ثلاثة، من ضمنهم المدير والمعاون. أما تحصيلهم الدراسي فكان على النحو التالي: دار الفنون: اثنان، المدرسة الحربية: اثنان، مدرسة الزراعة: واحد، دار المعلمين الابتدائية: اثنان، المدارس السلطانية والإعدادية: اثنان، مدارس أخرى: واحد. أما الوضع المعيشي للطلاب فكان على الوجه الآتي: عشرة من أبناء علماء الدين المسلمين، خمسة من أبناء رجال الدين غير المسلمين، إثنى عشر من أبناء الموظفين، عشرون من أبناء التجار، خمسة وعشرون من أبناء الحرفيين، سبعة من أبناء المزارعين، وستة عشر من أبناء غيرهم.

40ولاية بيروت 1908/1907م، ص 304.

والمعروف أن هذه المدرسة أصبحت تتكون كغيرها من الإعداديات العثمانية من قسمي الابتدائي والإعدادي وذلك بعد إلغاء المدارس الرشدية في الدولة العثمانية سنة 1913م"[41].

5- المدارس السلطانية في الدولة العثمانية:

"وهي المدارس التي تلي المرحلة الإعدادية من حيث المستوى الدراسي، إن لم تكن نسخة موسعة ومتطورة منها، بدئ بتأسيسها في سنة 1868 في إستانبول في حي غلطة سراي، لتكون بمثابة مرحلة تحضيرية للدخول إلى المدارس العليا (الكليات). وفتحت المدرسة أبوابها للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء، وخطط لها أن تكون نموذجا على غرار المدارس الإعدادية الفرنسية، ولهذا أستقدم لها كادر تدريسي من فرنسا، كما أنيطت إدارتها بأحد الفرنسيين، وجرى التدريس فيها باللغة الفرنسية ونالت المدرسة إقبالا كبيرا من العوائل الثرية، فتنافسوا فيما بينهم في إدخال أبنائهم فيها. غير أن هذه المدرسة، رغم كونها رسمية، انتهجت شيئا فشيئا سياسة مغايرة لسياسة الحكومة، حتى أن بعض مدرسيها من الأجانب كانوا لا يترددون من التحدث علنا ضد الحكومة.

41 بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص315-316.

كما أن البعض من خريجيها من غير المسلمين قاموا بأنشطة معادية للدولة العثمانية، الأمر الذي لم تستسغه الحكومة، فذهبت الى إعادة النظر في كل ما يتعلق بالمدرسة، إلا أنها لم تقم بإجراء تعديلات جوهرية فيها إلا في سنة 1876م حيث قامت بتعيين أول مدير تركي لها، وفرض الأجور على الطلاب الأجانب، وإجبار الطلاب القادمين من أماكن ساخنة تشهد اضطرابات ضد الدولة كبلغاريا على تركها وزيادة عدد الطلاب الأتراك فيها. كما أبعد من المدرسة كل من يقوم بأنشطة معادية للدولة"[42]. "ويبدو أن النجاح الذي حققته المدرسة بعد تأسيسها مباشرة جعل الدولة تفكر في نشر هذا النوع من المدارس في أرجاء الدولة كافة، فضمنت نظام المعارف الذي أصدرته سنة 1869م عدة مواد تتعلق بها، إذ نص النظام على إقامة مدرسة سلطانية في كل مركز من مراكز الولايات، وقبول من أكملوا الدراستين الإعدادية والرشدية من رعايا الدولة العثمانية فيها، على أن يتم قبول خريجي الإعدادية في القسم العالي من المدرسة، وخريجي الرشدية في القسم العادي منها، وتكون الدراسة فيها بأجور. كما نص على قبول خمسة بالمائة من مجموع الطلاب ممن أكملوا الدراسة الإعدادية بتفوق، وليسوا قادرين على دفع الأجور الدراسية، مجانا فيها، وأن يدفع عشرة بالمائة من مجموع الطلاب ممن يعجزون عن دفع الأجور، ربع أو نصف الأجور الدراسية، حسب الأوضاع المادية لكل منهم"[43].

42 بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص349.
43 نفس المصدر، ص349.

ونص النظام على أن تتحمل الدولة النفقات الإنشائية لها، وأن يتم صرف ما يؤخذ من الطلاب من الرسوم على احتياجات المدرسة، وفي حالة عدم كفاية هذه الموارد تتم تغطيتها من خزينة الدولة. ويشرف مجلس المعارف على عمليات الصرف فيها"[44].

"كما نص على أن يؤسس قسم داخلي فيها لإقامة الراغبين من الطلاب بالسكن فيها. وأن يتم تحديد الأجور الدراسية والإقامة في السكن من قبل مجلس المعارف في الولاية، على أن لا تقل الأجور السنوية للمقيمين عن ٢٠، ولا تزيد عن 30 ليرة عثمانية، وتكون الأجور السنوية لغير المقيمين في سكن الطلاب نصف الأجور التي يدفعها المقيمون فيها"[45].

"ونص النظام على أن يعين في المدرسة من ثمانية إلى اثني عشر معلما لتدريس مواد الأدب والعلوم والفنون والقانون، ويتم اختيارهم حسب نظام المعلمين. ويشرف على إدارة المدرسة مدير إدارة المعارف في الولاية"[46].

44 نفس المصدر، ص350.
45نفس المصدر، ص350.
46نفس المصدر، ص350.

"وتنقسم الدراسة الى قسمين: القسم العادي، والقسم العالي، ويقابل القسم العادي الدراسة الإعدادية، ومدته الدراسية ست سنوات من ضمنها المرحلة الرشدية، أما القسم العالي فينقسم إلى فرعين: الفرع الأدبي والفرع العلمي والفني، وتكون مدة الدراسة في هذا القسم ثلاث سنوات، وتقر في القسم العادي نفس المواد المقررة في المدارس الإعدادية. أما القسم العالي فتدرس فيه المواد الآتية:

أ- الفرع الأدبي: اللغة التركية، فن الكتابة والإنشاء، نماذج مختارة من الأدبين العربي والفارسي، البلاغة (المعاني)، اللغة الفرنسية، علم الاقتصاد الدولي، القانون الدولي، التاريخ

ب-الفرع العلمي: هندسة الرسم، المناظر، الجبر، تطبيق الجبر في الهندسة، المثلثات المستوية والكروية، علم الهيئة، الحكمة الطبيعية (الفيزياء) ومختصر الكيمياء، الصناعة بالصور وتطبيقها في الزراعة، التاريخ الطبيعي، فن تخطيط الأراضي"[47].

"وبعد مرور أربع عشرة سنة على صدور نظام المعارف العام تأسست في بيروت أول مدرسة سلطانية وهي أول مدرسة من هذا النوع تؤسس في الدولة العثمانية خارج إستانبول بعد سلطانية غلطة سراي في إستانبول، وحملت اسم المدرسة السلطانية في بيروت، وفتحت أبوابها للدراسة في سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م إلا أنها لم تستمر طويلا، وتم تحويلها في سنة 1888م إلى مدرسة إعدادية"[48].

47نفس المصدر، ص350.
48 نفس المصدر، ص350.

" ويبدو أن الوزارة لم يكن بوسعها تعميم تجربه نشر المدارس السلطانية في الولايات في هذا الوقت بالذات لإمكاناتها المحدودة، فلم تؤسس أي مدرسة سلطانية خارج مركز الدولة بعد مدرسة بيروت وقررت الوزارة التريث لحين حلول الوقت المناسب، والاكتفاء بالمدارس الإعدادية. واستمر ذلك حتى سنة 1910م، حيث بوشر بإقامة هذا النوع من المدارس في أرجاء الدولة كافة، فقامت وزارة المعارف بتحويل المدارس الإعدادية القائمة في معظم مراكز الولايات العثمانية إلى مدارس سلطانية"[49].

"وعلى الرغم من تحديد مدة الدراسة في المدارس السلطانية حسب نظام المعارف لسنة 1869م، إلا أنه لم يتم التقيد به بعد تأسيس هذه المدارس، فطبقا لما ورد في الدليل الإحصائي لوزارة المعارف للسنة الدراسية 1913 – 1914 فإن المدارس السلطانية ضمت قسمين:

أ- القسم الأول: الدراسة الابتدائية ومدة الدراسة فيه خمس سنوات

ب- القسم الثاني: الدراسة التالية (أي السلطانية) ومدة الدراسة فيها سبع سنوات وينقسم إلى قسمين:

- المرحلة الأولى: ومدة الدراسة فيها أربع سنوات.
- المرحلة الثانية: ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

49نفس المصدر، ص350-351.

وهذه المرحلة تنقسم بدورها إلى فرعين:

- الفرع العلمي
- الفرع الأدبي.

وبهذا تكون مدة الدراسة في المدارس السلطانية بقسميها الابتدائي والتالي 12 سنة"[50].

"فتحت المدارس السلطانية أبوابها لجميع رعايا الدولة مسلمين وغير مسلمين. وعلى الرغم من تحديد نسبة الدارسين فيها بأجور أو بدونها بموجب نظام المعارف المذكور، إلا أنه لم يتم التقيد بهذه النسبة، فعلى سبيل المثال نجد أن عدد الطلاب والمقيمين في سكن الطلاب في السنة الدراسية 1913 – 1914م في سلطانية بيروت الأولى هو 124 طالبا، منهم 42 يدفعون أجورا و82 معفيون من الأجور، أما الذين لا يقيمون في السكن فعددهم ١٠٩ طلاب، منهم ٢٩ فقط يدفعون أجورا و80 تم اعفاؤهم منها. وهذا يعني أن نسبة 5% المحددة في النظام للدارسين مجانا ارتفع إلى أكثر من 66%، الأمر الذي يدل على رغبة الدولة في استقطاب أكبر عدد ممكن من الطلاب للدراسة فيها وعدم تركهم للمدارس الإرسالية الأجنبية، وفسح المجال أمام الطلاب غير المتمكنين ماديا والراغبين في استكمال دراستهم من خارج المركز للدخول فيها"[51].

50نفس المصدر، ص351.
51نفس المصدر، ص351-352.

"وكان لطرابلس نصيبا في تأسيس مدرسة سلطانية فيها وقد تأسست في سنة 1915م، واتخذت من أحد المباني الأجنبية التي تم إخلاؤها بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى مقرا لها. وألحق بها سكن لإقامة الطلاب. وضمت المدرسة في بداية تأسيسها 11 معلما من ضمنهم المدير، وارتفع عددهم في السنة الدراسية 1916 – 1917م الى 15 معلما، وهم: المدير علاء الدين أفندي، ورئيس المعيدين مختار أفندي، واللغة العثمانية أحمد صافي أفندي، معلم التاريخ والجغرافية مظفر أفندي، معلم العلوم الطبيعية شاكر أفندي، معلم الرياضيات جمال أفندي، معلم العلوم الدينية محمد الحسيني أفندي، معلم اللغة الألمانية خليل أفندي، معلم الفرنسية رفيق أفندي، وكيل معلم العربية جميل أفندي، معلم الرسم جري بك، معلمو الدراسة الابتدائية المعلم الأول شوكت أفندي، المعلم الثاني أشرف أفندي، المعلم الثالث رائف أفندي، المعلم الرابع فهمي أفندي، المعلم الخامس رشاد أفندي. كما ورد بين كادر المدرسة إمام وهو الشيخ علي أفندي"[52].

52نفس المصدر، ص359.

ISSN: 2709-5312

"كانت المدرسة تتكون كغيرها من المدارس السلطانية من مرحلة الدراسة الابتدائية والمرحلة المتقدمة وذلك في السنة الدراسية 1917-1917م، وبلغ عدد طلاب المدرسة في السنة نفسها 287 طالبا، توزعوا على الصفوف على النحو الآتي:

- الصف الأول الابتدائي: 40 تلميذا
- الصف الثاني الابتدائي:41 تلميذا
- الصف الثالث الابتدائي: 62 تلميذا
- الصف الرابع الابتدائي: 41 تلميذا
- الصف الخامس الابتدائي: 35 تلميذا
- الصف السادس السلطاني: 28 طالبا
- الصف السابع السلطاني: 10 طلاب
- الصف الثامن السلطاني: لا شيء
- الصف التاسع السلطاني: 19 طالبا
- الصف العاشر السلطاني: 9 طلاب

وكان قسم من التلاميذ والطلاب المقيمين في سكن الطلاب يدفعون أجور إقامة، ففي السنة الدراسية المذكورة كان 36 من تلاميذ المرحلة الابتدائية و8 من طلاب المرحلة المتقدمة أي 37 طالبا يدفعون أجور الإقامة، أما القسم الأعظم من التلاميذ والطلاب فكانوا معفيين من دفع الأجور،

إذ كان 153 منهم يقيمون في السكن ويدرسون في المدرسة على حساب وزارة المعارف وبواقع 143 في المرحلة الابتدائية و10 في المرحلة المتقدمة"[53].

6- دار المعلمين في طرابلس الشام

نتيجة الانتشار الواسع للمدارس الرسمية في طرابلس الشام برزت الحاجة إلى معلمين يتمتعون بالكفاءة والجدارة لتعليم التلاميذ الذين وفدوا إلى هذه المدارس بكثرة، "فتأسست دار للمعلمين في حي الزاهرية بمدينة طرابلس، وفتحت أبوابها للدراسة في السنة الدراسية 1915-1916م حيث قبل فيها 16 طالبا، نجح منهم 10 في نهاية السنة. وكانت مهن آباء الطلبة فيها على النحو الآتي: 4 منهم موظفون، 3 تجار، 6 أصحاب حرف، مزارع واحد، 2 من أصحاب الدكاكين. وكان يتولى التدريس فيها في السنة الدراسية نفسها 11 معلما من ضمنهم مدير الدار"[54].

7- شروط القبول في المدارس

"لم يكن قبول الطلاب في المدارس، وبكل أنواعها، يقتصر فقط على الحاصلين على الشهادة الدراسية التي تسبق الدراسة التي يرغبون الدخول فيها، بل اشترطت التعليمات المتعلقة بالمدارس بمختلف أنواعها على المتقدمين للدراسة في مدرسة من المدارس أن يكونوا إما حاصلين على شهادة مدرسية تسبق مرحلة الدراسة، أو يمتلكون معلومات تعادل المعلومات التي يمتلكها أقرانهم من

53نفس المصدر، ص359.
54 بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص349.

خريجي المدارس الذين يتقدمون للدراسة في المدرسة، وفي هذه الحالة يطالبون بإجراء امتحان في مواد سبق أن درسها أقرانهم.

ومما يجدر ذكره أن المدارس الحكومية لم تكن مخصصة لفئة دون أخرى، ولم تكن مفتوحة لأبناء الذوات دون أبناء الفقراء، بل وضعت الدولة مبادئ الكفاءة والاستحقاق وتكافؤ الفرص وعدم التمييز على أساس العرق أو الدين أو المذهب فوق كل اعتبار عند قبول الطلاب في المدرسة، ومن الممكن تتبع ذلك من خلال الحالة المعيشية للطلاب المقبولين في المدارس من خلال الاطلاع على الاحصائيات الصادرة بهذا الخصوص. وطبقا لما ورد في هذه الإحصائيات فمن الممكن أن نجد أبناء علماء الدين والتجار والموظفين والمزارعين والحمالين والفقراء وحتى المشردين جنبا إلى جنب فبي الصف الواحد في المدرسة. ولم تحرم الدولة أي فئة من الرعايا من التعليم في المدارس الحكومية في أي مستوى كانت"[55].

8- الحث على السلوك الحسن ومراعاة الآداب العامة في المدارس

"كانت الدولة العثمانية تولي موضوع الأخلاق الحميدة والتربية الحسنة أهمية استثنائية في مؤسسات التعليم المختلفة. إذ نجد أن جميع التعليمات والأنظمة المتعلقة بالتعليم تؤكد على هذا الموضوع عند قبول الطلاب وعند استمرارهم في الدراسة. ويلاحظ أن عبارة (أن يكون المتقدم من ذوي الأخلاق الحميدة) ترد في كافة التعليمات المتعلقة بشروط القبول في المدارس المختلفة.

55نفس المصدر، ص24-25.

وكل ذلك يدل على أن الدولة العثمانية كانت تولي موضوع التربية الصالحة اهتماما إلى جانب اهتمامها بتعليم الطلبة.

واستهدفت هذه التعليمات تنظيم شؤون الطلاب داخل المدرسة وخارجها، فالمادة 17 من التعليمات الخاصة بطلبة المدرسة الطبية السلطانية نصت على عدم كشف الطلبة صدورهم عند تجوالهم خارج المدرسة وأثناء تمتعهم بالإجازة، كما أكدت على قيامهم بالتصرف بحدود الآداب، وبخلاف ذلك فإنهم يتعرضون إلى المحاسبة والعقاب، فيتم في البداية تنبيههم بشكل سري، وفي المرة الثانية بشكل علني، وفي المرة الثالثة يعاقبون بموجب قانون العقوبات المدني ويفصلون من المدرسة.

ونصت المادة 20 على التقيد بارتداء الزي الرسمي من قبل الطلاب وحمل الأرقام المخصصة لهم"[56].

"وطبقا لما ورد في إحدى التعليمات فإن الأفعال التي تستوجب عقاب الطالب هي: التخلف عن الصلاة، عدم المواظبة في الدروس، التأخر في الوصول إلى الصف، إحداث فوضى في الصف، التحدث بصوت عال في الممرات وقاعات النوم، التغيب عن المدرسة بلا عذر، عدم الحضور إلى المدرسة في الوقت المحدد، التغيب عن الدرس رغم وجود الطالب في المدرسة، الدوام في صف آخر، عدم الخروج من قاعة النوم في الوقت المحدد، مغادرة المدرسة بدون إذن التصرف بشكل يخل

56نفس المصدر، ص26-27.

بالنظام والتنظيم ويخالف نظام وتعليمات المدرسة، عدم التقيد بأوامر وتبليغات الإدارة، عدم احترام المدير والمعلمين وعدم الطاعة لهم. الاستهانة بأصدقائه والتفوه بكلمات نابية والتجاوز عليهم، التدخل بشؤون الإدارة والتدريس منفردا أو مجتمعا، الانشغال بالسياسة وأمور أخرى خارج نطاق الدروس، القيام بإلقاء الخطب في الأماكن العامة دون ترخيص، التصرف خارج المدرسة بحركات لا تليق بشرف وفضيلة المهنة أو في أماكن غير مناسبة عندما يكون في زيه المدرسي. كما منعت التعليمات نفسها انخراط أعضاء الهيئة الإدارية والتدريسية في الجمعيات السياسية، أو التحدث عن السياسة أمام الطلاب"[57].

"وفضلا عن هذا فقد شرعت وزارة المعارف في هذا الصدد كذلك تعليمات خاصة بمديري ومعلمي المدارس أيضا، ففي المادة الثانية من القرار الصادر بمقتضى الإرادة السنية في سنة 1893م اشترط على مديري المدارس والمعلمين أن يكونوا من ذوي الأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة وممن يتحلون بالإخلاص والنزاهة، كما أن بقية المواد من القرار نفسه تصب في تكريس الأخلاق الحميدة للطلبة"[58].

57نفس المصدر، ص27-28.
58سالنامة المعارف لسنة 1317، 2، ص 68.

ISSN: 2709-5312

خاتمة البحث

كان التعليم وما زال السبيل الوحيد إلى التنمية الذاتية وهو طريق المستقبل للمجتمعات، وهو حجر الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات، وقد أثبت هذا البحث أن الدولة العثمانية كانت جادة في تطوير التعليم، وما صدور كل هذه القوانين إلاّ لتلبي هذه الحاجة، وشكلت مساهمات الدولة العثمانية في بناء المدارس النظامية في تطوير وتوسيع نطاق التعليم، فشهدنا خلال هذه المرحلة زيادة في عدد المدارس، وفي عدد الطلاب، ودخلت مواد جديدة إلى النظام التعليمي، وشكل استحداث دار للمعلمين أهمية قصوى لجهة تأمين الطلب المتزايد على المعلمين والمعلمات في المدارس المستحدثة في مدينة طرابلس. وقد كان لهذه التطورات مساهمة في بناء كيان اجتماعي وثقافي وديني في مدينة طرابلس، استفادت منه طرابلس أيما استفادة.

يبقى التعليم إلى يومنا هذا ملجأً آمناً للطبقات الاجتماعية وخاصة الفقيرة للترقي في المجتمع، والتسلح به يرفع من شأن الإنسان، وهو الطريق للوصول إلى حياة كريمة.

المصادر والملاحق

أولاً: المصادر

1- مصادر باللغة التركية:

- سالنامة ولاية سوريا

: لعام 1300هـ/ 1883م.

: لعام 1318هـ/1900م.

: لعام 1299هـ/1882م دفعة 14.

: لعام 1302هـ/ 1884م.

- سالنامة ولاية بيروت،

: لعام 1326هـ/1908م.

: لعام 1908/1907م.

- سالنامة المعارف العمومية، لعام 1317هـ/1899م، ج2.

ISSN: 2709-5312

- الإرشيف العثماني،

وثيقة رقم،BOA 279493 /3727 ,BEO :

وثيقة رقم،BOA. I.DH. 850/ 68247 :

وثيقة رقم، EV.d.39005/20 –EV.d.39005/18 –EV.d.39005/13:

2- مصادر باللغة العربية:

- بيات، فاضل، (2013م)، المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، إرسيكا، استانبول، ص50.
- محمد عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864– 1914، دار المعارف، مصر.

ثانياً: المراجع

- آغا قصاب، سوسن، (2000م)، محاولات تحديث التعليم والمواصلات في طرابلس الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول.
- كرد علي، محمد، خطط الشام، ج4.